مشروع إعداد نسخة إلكترونية
لحولية كلية اللغة العربية بالمنوفية
إعداد وتنفيذ
أ.د/ يوسف محمد فتحي عبد الوهاب
أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد في الكلية

تَصْنِيفُ العُلُومِ والكُتُبِ
بين دِيوي والعُلَمَاءِ المُسْلِمين

بقلم الدكتور
كاظم الظَّواهري
أستاذ الأدب والنقد
بجامعة الأزهر – وكلية التربية للبنات بالطائف

حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية، العدد السادس عشر، مطبعة الأخوة الأشقاء ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

في الزمن القديم كان الإنسان إذا حاول أن يحلل الظواهر الطبيعية أو الحياتية ، كان أقصى ما يسعفه به عقله أن يحللها إلى جزئين أو عدة أجزاء قليلة ، مثلما فعل اليونان بالعناصر الطبيعية التى رأوها أربعة : الماء والهواء والنار والتراب . ومع تطور الفكر البشري وتعدد وسائل المعرفة تحولت العناصر إلى عشرات ، وتعدت المائة وربما المائتين ، ومازال العلم يكتشف كل يوم جديداً .

كذلك كانت العلوم قديماً علماً واحداً ذا أقسام ، هو الفلسفة التى كانت تطوى تحت جناحها كل العلوم من فيزيقية ، وميتافيزيقية ، عقلية وقلبية ، عملية ونظرية .. إلخ ، وهكذا رآها أرسطو الذي كان من أوائل من صنفوا العلوم .

وقد ظلت شجرة العلوم هكذا كالنخلة لا فروع لها أمداً بعيداً ، حتى كانت العصور الوسطى التي قضت على الحركة العلمية في أوربة أو كادت ، ولم تعترف من العلم إلا بما كان لاهوتاً أو ذا صلة باللاهوت ، لسيطرة المسيحية وتعصبها في أوربة ، ولكن ما إن أشرقت أنوار الإِسلام على العالم حتى عادت شجرة العلم تورق من جديد ، بل وينبت لها أغصان وتثمر ، وتلقي بالثمر اليانع والبذور ، وتنبت أشجاراً جديدة ذات أغصان وارفة مونقة وأوراق كثيفة ،

وثمار جديدة ، بفضل ما فتح الإِسلام للعلم من أبواب ، وحض عليه وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة .

وما إن جاء القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادي) ، حتى بدأت محاولات تصنيف العلوم ، التي أخذت تتصاعد حتى صارت هي ذاتها ضرباً من العلوم والفنون لها قواعدها وأصولها ومناهجها ورجالها ، بل إنها تعد من العلوم القليلة التي لم تفتر ولم يتوقف نموها والتأليف فيها ، مع النكبات التي منيت بها الحضارة الإِسلامية ، وانتهت بعصر الضعف الذي حمانا الله تعالى إبّانه من الفناء بفضل الدولة العثمانية الغراء التي اتهمت زواراً وبهتاناً بأنها كانت سبباً في هذا الضغف ، وهي منه براء .

كانت المحاولة الأولى لتصنيف العلوم هي ما قام به العلاّمة ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦) في بعض من كتبه العديدة التي اتسمت بالمنهجية والموضوعية في شتى العلوم المعروفة إلى عصره ، ولا سيما في كتابه المخطوط « فضل العرب على العجم » في جزئين جعل ثانيهما مختصاً بالعلوم التي كانت للعرب في جاهليتهم ، وسماه « علوم العرب »[1] وقد عرف فيه بهذا العلوم غير المدونة ، وذلك رداً على شبهات المبطلين من الشعوبيين الذين ادَّعوا أن جاهلية العرب كانت جاهلية عقل وعلم ، لا جاهلية دين وعقيدة !

كان هذا في الوقت الذي ما زالت علوم الإِسلام من قرآن وحديث وفقه ، وعلوم اللغة من ألفاظ وتراكيب ومن نحو وصرف وعروض وعلوم الأدب ، والنقد والبلاغة ، وعلوم الدنيا من رياضيات وفلك وطبيعة (فيزياء) وكيمياء وطب وغيرها ، تدرج

حثيثا في طريق الترقي ، وأكثرها لم ينقل باسمه ورسمه بعد ، اللهم إلا القراءات والفقه والنحو والصرف والعروض التي سبقت غيرها في القرنين الثاني والثالث ، ثم تلاها ما عداها ، فاستوي كثير من العلوم فضل الجهود الدائبة لجمهور من العلماء المخلصين خلال القرنين الثالث والرابع .

من هنا نشأت الحاجة إلى إحصاء العلوم وتصنيفها ، وحصر الكتب وفهرستها ، والترجمة للأعلام والمؤلفين ، منذ القرن الرابع ، فأخرج أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (٣٢٢) كتابه المسمى « أقسام العلوم »[٢] وتلميذ له يدعى معن بن فرعون أو فريعين « ؟ » كتاباً سماه « جوامع العلوم »[٣] ، وأخرج المعلم الثاني أبو نصر الفارابي (٢٣٩) كتابه المسمى « إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها »[٤] وأخرج إخوان الصفا رسائلهم المشهورة باسم « رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا »[٥] وأخرج أبو عبدالله الخوارزمي (٣٨٧) كتاب « مفاتيح العلوم »[٦]ومحمد ابن اسحق النديم (ح : ٤٠٠) كتاب « الفهرست » أو « فهرس العلوم » [٧] ، وتوالى العلماء على ذلك فجاء أبو حيان التوحيدى (٤٠٠) بكتاب « ثمرات العلوم »[٨] والشيخ الرئيس ابن سينا (٤٢٨) بكتاب « أقسام العلوم العقلية »[٩] ، والأبيوردي (٥٠٧) بكتاب « طبقات العلوم »[١٠] والزمخشري (٥٤٨) بكتاب « الأمالي من كل فن »[١١] وابن خير الأشبيلى (٥٧٥) في « فهرسة ما رواه عن شيوخه »[١٢] والإمام فخر الدين الرازي (٦٠٦) بكتاب « حدائق الأنوار في حقائق الأسرار »[١٣] وقطب الدّين الشيرازي (٧١٠) بكتاب « درة التاج »[١٤] ، وشهاب الدين النويري (٧٣٣) وموسوعته « نهاية الإرب في فنون

الأدب »[١٥] وصدر الشريعة المحبوبي (٧٤٧) وكتابه « تعديل العلوم » في أقسام العلوم العقلية كلها[١٦] ، والسنجارىّ (٧٤٩) وكتابه « إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد »[١٧] ، وابن خلدون (٨٠٨) ومقدمة تاريخه «العبر وديوان المبتدأ والخبر»[١٨] ، والدميرى (٨٠٨) وكتابه « حياة الحيوان الكبرى »[١٩] ، والشريف الجرجاني (٨١٦) وكتابه « التعريفات »[٢٠] والفيروز ابادي (٨١٧) وكتابه « بصائر ذوي التمييز »[٢١] ، وأبو العباس القلقشندي (٨٢١) وكتابة « صبح الأعمشى في صناعة الإنشا »[٢٢] وشمس الدين الفناري (٨٣٤) أو ابنه محمد وكتابه « أنموذج العلوم »[٢٣] وتقي الدين المقريزي (٨٤٥) وكتابه « الخطط والآثار »[٢٤] وعبد اللطيف بن عبد الرحمن المقدسىّ (٨٥٦) بكتاب « شفاء المتألم في آداب المعلم والمتعلم »[٢٥] ، وعبد الرحمن البسطامي (٨٥٨) بكتاب « موسوعة العلوم »[٢٦] وملالطفي (٩٠٤) بكتاب « المطال الأَلهية »[٢٧] ، وجلال الدين السيوطي (٩١١) في كتابه « النقابة في موضوعات العلوم » وشرحه المسمى « الدراية »[٢٨] ، وجلال الدين الدواني (٩١٨) فى « أنموذج العلوم »[٢٩] والإِزنيقى (القرن العاشر) وكتاب « مدينة العلوم »[٣٠] وطاش كبرى زاده (٩٦٨) وكتابه « مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم »[٣١] ولنا معه وقفة ، وابنه كمال الدين (١٠٢٦) بكتابه « موضوعات العلوم »[٣٢] ، ومحمد أمين الشرواني (١٠٣٦) بكتاب « الفوائد الخاقانية »[٣٣] ، وحافظ الدين محمد العجمى (١٠٥٥) بكتاب « فهرس العلوم »[٣٤] ، وحاجي خليفة (١٠٦٧) بكتاب (كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون)[٣٥] ، والفاروقي

التهانوي (١١٥٨) في « كشاف اصطلاحات الفنون »[٣٦] وزين الدين محمد بن على السهروردي (١٢٠٠) بكتاب « تنويع العلوم »[٣٧] وشمس الدين الحسينى الشيرازي (١٢٠٥) بكتاب « أنواع العلوم »[٣٨] وصديق بن حسن القنوجي (١٣٠٧) في كتاب « أبجد العلوم »[٣٩] ، إسماعيل باشا البغدادي ١٣٣٩ هـ في كتابي « إيضاح المكنون » و« هدية العارفين » وهما ملحقان بكتاب « كشف الظنون » حيث أنهما تذييل وتكميل لعمله[٤٠] وغير ذلك كثير مما لم يصلنا خبره[٤١] ويضاف إلى كل ذلك أنواع أخرى من الموسوعات القديمة والحديثة التي عنيت بالترجمة للأعلام من العلماء والمؤلفين في كل فن مما يضيق المقام عن تعقبه من معاجم وقواميس وكتب طبقات للمحدثين والفقهاء والمفسرين والرواة واللغويين والنحويين والشعراء والأدباء والقضاة والمؤرخين في سائر العصور حتى مؤلفيها ومنها ما اختص بعصر كالدرر الكامنة ، والضوء اللامع ، والكواكب السائرة ، وخلاصة الأثر ، وما اختص بمكان ، كتاريخ بغداد وتاريخ دمشق وتاريخ أربل ، والذخيرة ، والنجوم الزاهرة ، وما عم كل ذلك من الموساعات العامة كوفيات الأعيان والوافي والفوات ، وسير أعلام النبلاء ، وغيرها ، وكلها مما عني بالكتب والمؤلفين وأعلام العلوم وأنواعها في كل حين ، ولكنها ليست مما يدخل في صميم العمل التصنيفى ، وإن كانت كلها أو أكثرها يتبع نظماً ذات دلالات راقية في الفهرسة والترتيب « أبجدياً أو زمنياً ... إلخ » وهي جميعاً « ببليوجرافيات » رائدة وسباقة على المستوى العالمي منقطعة النظير .

وتجدر ملاحظة أن العصور المتأخر التي تسمى بعصور الصعف تنال حظاً وافراً من هذا النوع من الدراسات الموسوعية والمصنفات كما يتبين من العرض السلف ، الأمر الذي يوحي بأن هذا الفن قد احتفظ بقوة الدفع نحو التطور والرقي ، وأنه قد استهوى كثيراً من خاصة أهل العلم ، حتى إنَّ تخصيص مبحث أو مباحث في المؤلفات الموسوعات أو المتخصصة للحديث عن « مباحث العلوم » أو عن « أقسام العلوم » بات ظاهرة من الظواهر المألوفة في العصرين المملوكى والعثماني ، بالإضافة إلى المؤلفات التى خصصها أصحابها لهذا العلم .

وقد خسر العلم كثيراً بعدم إكتمال تأليف موسوعة الفيروز ابادي فى العلوم التي وعد في مقدمة كتاب « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » بإنجازها من ستين قسماً في ستين علماً[٤٢] ، كان ما كتبه في خصائص القرآن الكريم هو القسم الأول منه ، وقد طبع في ستة أجزاء . ويبدو طموحات الفيروز ابادي كانت أكبر من طاقاته ، أو أكبر من أوقاته ، فلم يقدر له أن ينجز موسوعته التي أرادلها أن تغني عن مكتبة كاملة في جميع العلوم ، وبقي كتاب نهاية الأدب للنويرى ، هو الموسوعة الكبرى في علوم عصره .

إن اهتمام العلماء في عصر « الضعف » بهذا العلم كل هذا الاهتمام يمكن أن يفسر من خلال دراسة بعض العوامل النفسية التى تعتري العلماء عندما يجدون أنفسهم محاصرين بظلمات الجهل من كل جانب ويستشعرون الخطر المحدق ببقية العلم ، وتحدوهم الرغبة الدائمة في جمع العلم في أوعية ضخمة وأضاميم يأمنون بها على العلم من الضياع كله أو شيء منه ، بالإضافة إلى الرغبة في تقديم

العلم مجموعاً لمريديه أو إعداده بصورة ترغب فيه المتلقين الحاضرين أو المستقبلين من الأجيال التالية ، وربما يكون عدم الثقة في حوافظهم هم أنفسهم مما يدفعهم إلى اتخاذ أوعية للعلم للنفع الشخصى ثم تتطور الفكرة معهم لتصبح مشروعاً عاماً لإخراج موسوعة في العلوم .

وأياً ماكان الأمر فقد ربح العلم عامة ، وهذا الباب منه على وجه الخصوص مربحاً عظيماً بهذه الأعمال ، التي أدت إلى تواصل حركة التأليف فيه وتطور مناهجه وأساليبه حتى أدت إلى علماء المكتبات في عصرنا تراثاً يستحق أن يتيهوا به على علماء المكتبات في العالم كله ، حيث إن أقل ما يدل عليه أنَّ تصنيف العلوم وترتيبها وفهرسة كتبها ، وأعلامها نالت أكبر قدر من العناية على مر تاريخ حضارة الإسلام ، وهو مالم يوجد له نظير فى أي من الحضارات المعروفة من بدء الخليقة إلى مطلع عصر الحواسب الإلكترونية والآلات المفكرة « الذكية » ، كما يسمونها .

وهذه العناية فى حَدٍّ ذاتها لها دلالتها على طبيعة هذه الحضارة ، فالعناية بتقسيم العلوم نوع من الفكر الفلسفى الراقي الذي طرقه الفلاسفة من قديم ، حيث إن تصنيف العلوم بعد عملية تحليل وتنظيم ، واستكشاف لنشاط العقل البشري في أقصى طاقاته في تفاعله مع الطبيعة والوجود الخارجى من حوله ، مستكشفاً ومسخراً ومستفيداً ومطوراً ، وهو يعتمد على نظر دقيق ، وبُعد عميق في طبائع العلوم وعلاقاتها ، وينبنى على المنطق وعلم الأصول في ترتيب العلوم وتفريعها ، وبيان الشريف الأولى بالتقديم منها ، وما يتلوه أو المقدم على غيره لأنه يلزمه ، وهذا التالي ينبني عليه ،

إلى آخر التقسيم ، كما أنه مظهر العناية بحصائد العقول ، وثمار الفكر البشري منذ بدء الخليفة ، حيث عني أكثر ما ذكرنا من المؤلفات والموسوعات بالتراث الإنساني في سائر العلوم النظرية والعملية لدى كل الأمم من شرقية وغربية ، فنجد فيها تراث اليونان ، والرومان ، والفرس والهنود ، وغيرهم ، ولا شك أنه مظهر عناية فائقة بالكتب والمكتبات أيضاً ، مماكانت تزخر به حواضر العلم في قلب الأمة وشرقها وغربها ، والتى تشهد بضخامتها عشرات الآلاف من الكتب التي تزدان بها مكتبات العلم ، مما أثمرته الحضارة الإسلامية على مر العصور .

وليس غريباً أن نعلم أن أبناء أوروبة كانوا يختلفون إلى الأندلس لينهلوا من العلوم فيها ، حتى رجال الكنسية أنفسهم كانوا يفعلون ذلك ، وينعمون بالسماحة والأمان التام بين المسلمين ويلقون كل عناية من علمائهم . وجاء وقت كانت العربية فيه هي لغة العلم العالمية ، وهذا روجر بيكون (١٢١٤ - ١٢٩٤) يتعلم العربية ، ويتلمذ للفكر الإسلامى العربي ، ويستفيد منه[٤٣] ، وهو قمة من قمم الفلسفة الإنجليزية في مطلع اليقظة الأوربية ، وقد استمر هذا التيار مع النهضة إلى ذروتها ، وكان له تأثير كبير في كثير من مجالات الفكر في الحضارة الغربية المعاصرة .

ومع ميلاد هذه الحضارة العربية الحديثة ، ولد أشهر تصنيف مكتبي للعلوم في العصر الحديث ، وهو تصنيف ملفيل ديوي (١٨٥١ - ١٩٣١) الذي أصبحت له السيادة المطلقة على المستويين النظري والتطبيقى في عالم الكتب والمكتبات وتصانيف العلوم .

ويعد هذا التصنيف من أكثر التصانيف دقة وشيوعاً ، والفكرة التي أسس عليها أوجدت حلولاً لأكثر المشكلات تعقيداً في العمل المكتبى الذي ظل يعانى دهوراً من المشكلات التي تتفاقم مع استمرار عمليات التوسع في التزويد ، أو الإسقاط ، وتناول الكتب ، وفهرستها ، وتعديل قوائمها ، إلى آخر ما يعانيه رواد المكتبات والعاملون بها ، فأصبح التعامل مع الكتب والمكتبات في كل ذلك يسيراً وسهلاً على هؤلاء ، ولم يبق من المشكلات إلا القليل ، الذي لم يعد يعسر على تقنية المكتبات الحديثة أن تتجاوزه بآلاتها المتطورة .

لقد نجح ديوي في أن يجعل الباحث بقليل من الجهد يصل إلى الكتاب أو مجموعة الكتب التي يريدها بيسر وسهولة ، بل إنه يستطيع من خلال الرقم المعين أن يعرف التخصص الدقيق الذي يعرض له الكتاب ، كما أن كل صاحب تخصص ، ما عليه إلا أن يعرف بضعة أرقام بسيطة ، ويتوجه إلى الخزائن التي تحويها ، ليجني تمار العقول في باب تخصصه .

وقد كنا ونحن صغار نتوجه في مكتبة الحي إلى رقم ٨١٣ لأجل قراءة القصص ، ولما كبرنا قليلاً عرفنا رقم ٨١٢ للمسرحيات ، وفي سن الشباب عرفنا رقم ٨١١ للشعر العربي ، ومن ثم أدركنا أن كل الأرقام فيما بين ٨٠٠، ٨٩٩ مخصصة للأدب ، ولما طلبنا التاريخ عرفنا الأرقام فيما بين ٩٠٠، ٩٩٩، ولا سيما التراجم من ٩٢٠ إلى ٩٢٩، وعرفنا أن الرحلات مع الجغرافية بين ٩١٠، ٩١٩ ثم لما طلبنا الديانات عرفنا الأرقام بين ٢٠٠، ٢٩٩، ولما طلبنا الفلسفة عرفنا الأرقام فيما بين ١٠٠،

١٩٩، والموسوعات فيما دون المائة ، ... وهكذا ، واليوم نكاد نعرف لكل علم من العلوم أو من الفنون أدق أرقامه ، ومظانه في خزائن الكتب التي تتعامل مع نظام ديوي هذا . كما أن العاملين بالمكتبات أيضاً لا يجدون أي مشكلة في تصنيف الكتب وإضافتها ، وإسقاطها من المكتبة وفهارسها دون أن يؤثر ذلك على ترتيب المكتبة وفهارسها ، ولا يحتاجون إلى تبديل أو تغيير في أنظمتهم نتيجة تلك الإِضافة أو الحذف .

لقد قام ديوي بتقسيم العلوم إلى عشر عائلات كبيرة كل منها تضم عشر أسر وكل أسرة تضم عشرة أفراد ، فتحصل لديه مضروب : (١٠ × ١٠ × ١٠ = ١٠٠٠) ، وذلك بالإِضافة إلى جعل أرقام محددة للتقسيمات الموحدة في كل العلوم ، وهي نفس أرقام العلم في التقسيم العشري ، فقسم التاريخ والجغرافية (الزمان والمكان) خصصت له المائة العاشرة من ٩٠٠ إلى ٩٩٩، وعليه جعلت المعاملة المكانية والزمانية في أي موضوع من موضوعات العلوم تتحدد بالرقم ٩ في كل ، والفلسفة والنظريات لها المائة الثانية (١٠٠ - ١٩٩ ولهذا جعلت الفلسفة والنظريات في أي علم تحت رقم ١ كل ذلك يضاف إلى الرقم المخصص للعلم ذاته والمائة الأولى خصصت للمعارف العامة ، وبناء عليه كانت العشر الأولى من كلٍّ مائة تالية تخصص للعموميات في ذلك العلم .

ولا شك أن هذا الأطراد ييسر على الباحث الوصول إلى ما يريده دون مشقة . والهيكل المصاحب في الشكل رقم (٤) يبين مدى دقة واطراد هذا النظام في تقسيمه للعلوم ، وفي تيسيره للتصنيف والفهرسة على المكتبيين ، والباحثين ، وأيضاً في ترتيبه ، الذي يبدو

منطقياً ، للعائلات العلمية والفنية واللغوية والدينية ، وفي مدى إمكانية تعديله ليوافق مختلف أنواع المكتبات ، والبيئات ، واللغات والثقافات والأمم والعقائد ...

ولربما يتضاعف إعجابنا بهذا النظام إذا ما عرفنا أن صاحبه قد توصل إليه وهو غض الإِهاب ، لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره ، حيث إن ملفيل ديوي قد نشر الطبعة الأولى من تصنيفه سنة ١٨٧٦، وطبَّقه في مكتبة الكلية التي كان يعمل بها وهو طالب فيها ، في جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية .

ولربما أثارت هذه الملابسات تساؤلاً حول مدى إمكانية استقلال شاب حدث باستنباط مثل هذا النظام الدقيق ، دون سابقة مهدت له الطريق ، واهتدى بها ، فأخرج ما أجبر مكتبي العالم على الانصياع له وتطبيق نظامه دون معارضة تذكر .

هناك من يقول لأن تصنيف الفيلسوف الإِنجليزي فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) للعلوم كان المصدر الذي استقى منه ديوي فكرة تصنيفه[٤٤] ، وبالطبع يرد مصدر بيكون إلى أرسطو مباشرة ، ولكنَّ التشابه الكبير الذي بين ديوي والتصانيف الإِسلامية ولا سيما تصنيف ابن النديم يذهب بالنفوس نحو الشك فى أن يكون ديوي قد اطلع بطريقة ما على التصانيف الإِسلامية ، واستوحى منها فكرة تصنيفه .

ولئن كنا في الوقت الحالي نفتقرٍ إلى الدليل التاريخي على صدق هذا الحدس والتخمين ، فإننا نُذكِّر بموقف المستشرق الإِسباني بالاسيوس من قضية « أثر الإِسلام في الكوميديا » الذي أصدره سنة

١٩١٩، م وهو يفتقر إلى الدليل التاريخى على صدق ادعائه ، ولا يعوزه الدليل المادي المستقى من قلب النصوص ، فأثار ثائرة الباحثين في أوربة كلها عليه ، وظل يبحث عن الدليل خمساً وعشرين سنة دون طائل وبعد وفاته بأربع سنين ظهر الدَّليل المادي التاريخي الذي أثبت بما لا يدع مجالاً للشك في أن دانتى قد تأثَّر بقصة المعراج التي كانت معروفة على زمنه ومترجمة إلى أكثر من لغة أوربية(٤٥). ومثل هذا كفيل ببث الثقة فى أنفسنا بأن الأيام سوف تأتى إن شاء الله بالدليل الذي يؤكد على أن التشابه بين تصانيف العلوم الإِسلامية وتصنيف ديوي ليس مصادفة أو من قبيل توارد الخواطر . وحتى إذا لم يثبت ذلك فيكفينا أن بالدليل الدامغ أن السبق إلى مثل هذه الأفكار يكون دائماً لنا ، وأن الموازنة الحضارية بيننا وبين الغرب تكون دائماً في صالحنا .

ومن أجل ذلك نكتفى الآن بالإِشارة إلى التشابه الذي لا يخفى بين هيكل تصنيف ديوي ، وبين هياكل التصانيف الإِسلامية ، ولا سيما تصنيف ابن النديم ، الذي كان أيضاً ممن يعملون في مجال الكتب والمكتبات ، فهو وراق بالوراثة ، ورث هذه المهنة عن أبيه الذي هاجر من المشرق إلى بغداد ليعمل بهذه الصنعة حياته ، وليورثها ولده ، ابن النديم ، من بعد(٤٦) ، والذي أفادته صنعته فى تصنيف كتابه الشهير الرائد في فن تصنيف العلوم والكتب والترجمة لأصحابها ، وكذلك كان ديوي كما ذكرنا - مكتبياً .

ولا شك أن عمل كل من الرجلين بالمكتبات وتعاملهما مع الكتب يعد مصدر إلهام مشتركاً ، حيث يطلع المرء على الكتب ويتعرف عليها ، ويعاني من المشكلات التي تواجه العاملين فى هذا

الباب ورواده . وقد بلغ من إعجاب بعض المستشرقين بنظام ابن النديم وكتابه « فهرس العلوم » أو « الفهرست » أن رجحوا أن يكون ابن النديم من أمناء مكتبة بغداد الشهيرة باسم « بيت الحكمة » فى العصر العباسى ، وأن كتابه ربما يكون فهرساً لهذه المكتبة(٤٧) ، وهذا أمر لا دليل عليه ، ولكنه هو فى حد ذاته دليل على مدى تقدير العالم الغربى لابن النديم وفهرسته ، وإقرارهم بعلو كعبه في باب التصنيف العلمي ، وفهرسة الكتب ، والترجمة لأعلامها .

ومن متابعة مناهج التصانيف الإسلامية نجد أن تصنيف ابن النديم هو أقربها شبهاً بتصنيف ديوي ، يليه تصنيف طاش كبرى زاده ،لأن التصانيف لم تلتزم منهجاً واحداً ولم تسر على طريقة واحدة ، فكل منها كان يحدد غاية له ويتخذ الوسيلة التي توصله إليها ، فمنهم من توفر على تصنيف العلوم بنظرة مجردة منطقية فلسفية كالخوارزمي وابن سينا وابن خلدون ، ومنهم من جعل همه سياقة الكتب فى كل الفنون والعلوم استقصاء أو تمثيلاً ، ومنهم من جعل همه الترجمة لأعلام المشتغلين بالعلوم ، ومنهم من جمع بين كل ذلك ، ولهذا نجد أن أبرز سمات المناهج لدينا شيوعاً ، هي سمات المنهج العلمى الذي سار عليه ابن النديم ، والمنهج « الببليوجرافى » فى الفهرسة الأبجدية للكتب والمؤلفين ، وذلك بصرف النظر عن موضوعات الكتب أو تخصصات المؤلفين ، اللهم إلا إذا كانت الفهرسة تخصصية ، أي في فرع واحد من العلوم ، وقد كان العرب رواداً في فن الترتيب الأبجدي لألفاظ اللغة وأسماء الأعلام والكتب والأماكن منذ نشأة حضارتهم ، واعتمدوا عليه اعتماداً

كبيراً في كتب اللغة والتراجم والتاريخ والحديث والفهرسات ، وغيرها ، في حين أن أوروبة لم تعرف الفهرسة الأبجدية إلا في القرن الخامس عشر الميلادي ، وشاع استعمالها ببطء شديد بعد إختراع الطباعة(٤٨) .

وقد شاعات المصنفات الأبجدية بكثيرة في الفهرسات ، ولكن أكثرها لصوقاً بموضوعنا كتاب « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » مع ذيوله التي أتمه بها العلماء من بعده ، وعلى رأسهم إسماعيل باشا البغدادى .

والذي يتعامل مع هذه النوعيات من المصنفات يجد أنه لا غنى له عن كل منها ، فالأول يمكن الباحث من التوصل إلى كل ما ألف فى كل علم ، والثانى ، يمكن الباحث من التوصل إلى الكتب عن طريق مؤلفيها أو المؤلفين عن طريق كتبهم ، وكل هؤلاء يحرصون على تقديم زاد وفير من المعلومات عن كل ذلك تحت كل مدخل من مداخلهم (الموضوع - المؤلف - العنوان) .

وقد تمكن حاجي خليفة - صاحب كشف الظنون - من الجمع بين المنهجين بأن رتب العلوم أبجدياً في ثنايا الكتب ، وكلما جاء موضع ذكر علم على ترتيبه ذكره وعرف به ، وبتاريخه ، وأعلامه ، وأشهر ما ألف فيه مع الإحالة دائماً من السابق على اللاحق ، أو العكس تجنباً للتكرار .

ولكننا عند تطبيق كل من النوعين على المكتبات نجد أن نظام الأبجدية أقل جدوى في الكتب - ولكنه لا غنى عنه في فهرسها - فنحن لا نحتاج إلى كتب المؤلف الواحد ، أو الكتب المتقاربة العناوين وإنما تمس حاجتنا إلى كتب العلم الواحد ، وإن اختلفت أسماؤها أو مؤلفوها .

وهنا يأتي دور تصنيف العلوم ، وعلاقته بالمكتبات ، الذي يوفر لنا بالإضافة إلى هذه المزية ، مزية أخرى هي إمكانية التزويد والإسقاط دون أن يطرأ أي خلل على نظام المكتبة كما ذكرنا آنفاً .

من هنا ظهرت أهمية هذا النوع من التصانيف في الناحية التطبيقية العملية ، بعد أن تأكدت على الصعيد النظري الفلسفي الذي ينبع من الارتباط المنطقى والعضوي بين المعارف والعلوم ، ولا سيما مع الترتيب الدقيق ، والتفريع بنظام « التشجير » كشجرة النسب - ولا تخفى فائدته على العلماء والمشتغلين بالعلوم والفنون من نظرية وعملية ، وأشهر من تبعه الخوارزمى - على بساطته وابن النديم وابن خلدون وطاش كبرى زاده .

والهياكل التالية تصور هذه الأنظمة الأربعة ، موضحة ترتيب الأنواع فيها ، وتفريعها ، وإن لم تستقص إلى أدق فروعها ، فاكتفت بالإجمال في الفروع ، لأن استقصاءها يحتاج إلى لوحات أكبر من ذلك بكثير ثم أتبعت بهيكل مختصر أيضاً لتصنيف ديوى - حيث توقف عند الأقسام المائة ولم يجاوزها إلى فروعها ، واخترنا لتصنيف ديوي - طبعته المعربة المعدلة التي قام بها فؤاد اسماعيل فهي سنة ١٩٧٩م عن الطبعة الثامنة عشرة لديوي .

وآمل أن تمكن هذه الهياكل النَّاظر فيها من تبين ما نريد أن نتوصل إليه من حقائق حول أهمية هذه التصانيف وتطورها التاريخى ، وأثرها في نظم التصنيف والفهرسة المتطورة التي تأخذ بها الأمم المحتضرة في العصر الحديث .

* * *

هيكل تصنيف الخوارزمي(٤٩)

هيكل تصنيف ابن النديم

المقالات العشر	فنونها	فروعها
١–فى وصف لغات الأمم من العرب والعجم وشرائعها وكتبها من قرآن وتوراة وإنجيل	– لغات الأمم وخطوطها وأقلامها وكتاباتها	٢٥ فرعا
	– كتب الشرائع للمسلمين وأهل الكتاب	٣ فروع
	– القرآن وعلومه	٢٩ فرعا
٢ – أخبار النحويين واللغويين وأسماء كتبهم	– البصريون	ـــــ
	– الكوفيون	ـــــ
	– غيرهم	٥ فروع
٣– الإخباريون والنسابون وأضرابهم	– الرواد	ـــــ
	– الكتاب وكتبهم	٦ فروع
	– القدماء والمغنون وأضرابهم	٢ فرعان
٤– الشعر والشعراء	– الرواة والشعراء إلى نهاية عصر بنى أمية	٤ فروع
	– المحدثون إلى عصره	٤ فروع
٥– المتكلمون والمتصوفة	– متكلمو المعتزلة والمرجئة	٣ فروع
	– متكلمو الشيعة الإمامية والزيدية	ـــــ
	– متكلمو المجبرة وبابية الحشوية	ـــــ
	– متكلمو الخوارج وأسماء كتبهم	ـــــ
	– متكلمو السياح والزهاد والعباد والمتصوفة	٣ فروع
٦– فى أخبار الفقهاء	– المالكيون وكتبهم	ـــــ
	– الأحناف وكتبهم	ـــــ
	– الشافعيون وكتبهم	ـــــ
	– داود الأصفهاني وأصحابه	ـــــ
	– فقهاء الشيعة وكتبهم	ـــــ
	– فقهاء أصحاب الحديث	ـــــ
	– الطبري وأصحابه	ـــــ
	– فقهاء الشراة	ـــــ
	– الفلسفة ونقلها إلى العربية	٥ فروع
٧– الفلاسفة الطبيعيون والمناضقة	– المهندسون الأرثماطيقيون والموسيقيون والحساب والمنجمون وصناع الآلات وأصحاب الحيل	٣ فروع
	– المتطببون القدامى والمحدثون وكتبهم	٤ فروع
٨– الأسحار والخرافات والسحر والشعوذة	– كتب الأسمار والخرافات	١١ فرعا
	– المشعوذون والسحرة	٤ أفرع
	– كتب لا يعرف مؤلفوها في معارف شتى	١٥ فرعا
٩– مذاهب الصابئة والثنوية	– الكلدانيون والزنادقة وآخرون	٤٤ فرعا
	– المذاهب والاعتقادات في الهند والصين	١٢ فرعا
١٠– الكيمائيون والصنعويون من الفلاسفة القدامى المحدثين	– ـــــ	٦ أفرع

هيكل تصنيف ابن خلدون (٥٠)

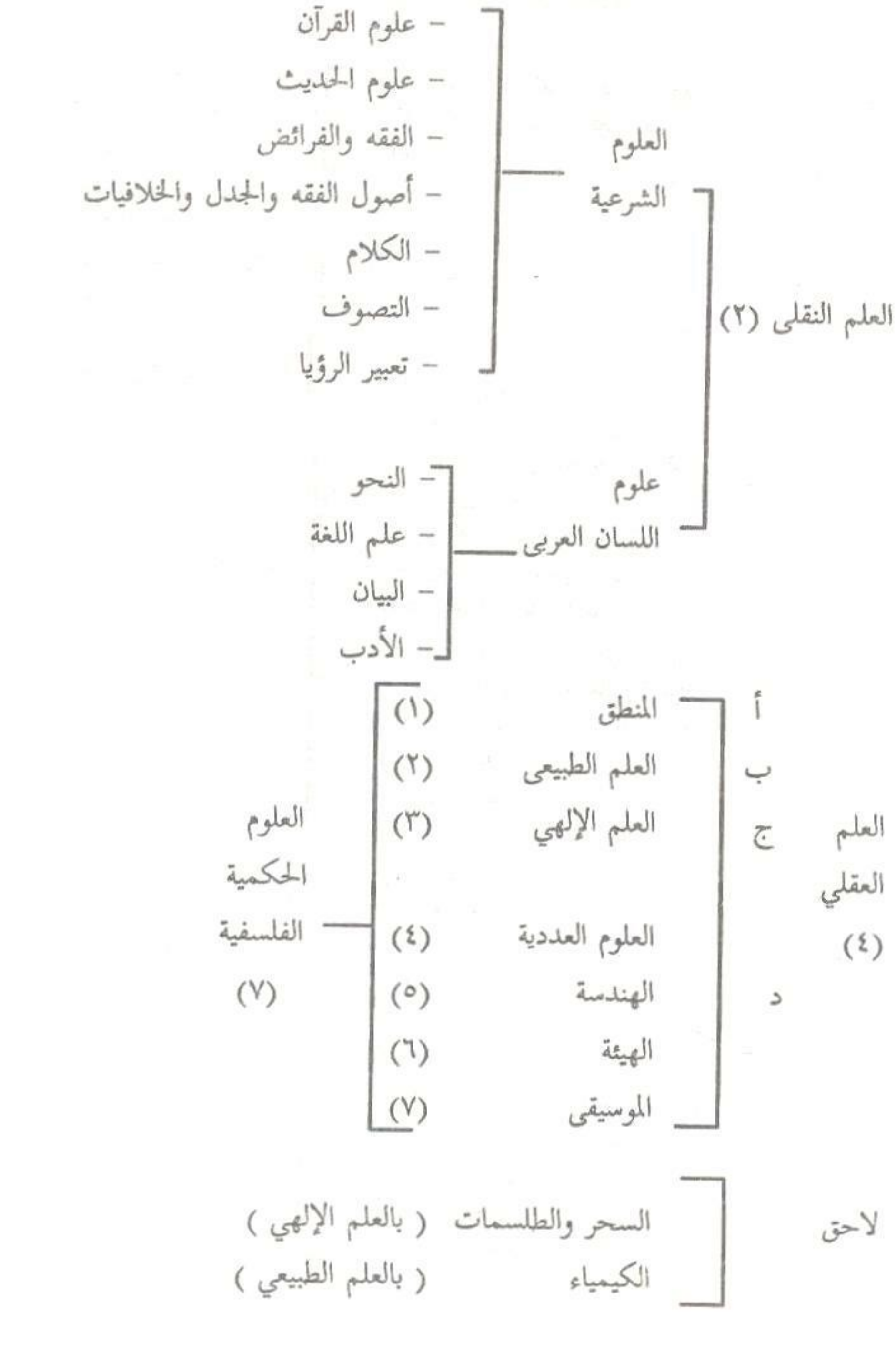

هيكل تصنيف طاش كبرى زاده

الدوحات	شعبها	عدد مطالبها (عناقيدها- أصولها)	علومها
١- في بيان العلوم الخطية	- علوم الصناعة الخطية	—	٥
	- علوم الحروف المجردة	—	٤
٢- علوم تتعلق بالألفاظ	- المفردات	—	٥
	- المركبات	—	٣
	- علوم العربية	—	٢٧
٣- علوم المعقولات	- العلوم الآلية	—	١
	- علوم عاصمة من الخطأ في المناظرة والدرس	—	٤
	- في العلم الإلهي	—	١
	- فروع العلم الإلهي	—	٦
	- العلم الطبيعي	—	١
	- فروع العلم الطبيعي	—	١٧
٤- العلم المتعلق بالأعيان	- فروع فروع العلم الطبيعي	٤ عناقيد	(١٣+١١+٥+١٤)
	- العلوم الرياضية (هي التالية)	—	٤
	- الهندسة	—	١٥
	- الهيئة	—	٢٧
	- العدد	—	١٤
	- الموسيقى	—	٣
٥- الحكمة العملية	- علم الأخلاق	—	—
	- علم تدبير المنزل	—	—
	- علم السياسة	—	—
	- فروع الحكمة العملية	—	٤
٦- العلوم الشرعية	- علم القراءة	—	—
	- علم رواية الحديث	—	—
	- تفسير القرآن	—	—
	- دراية الحديث	—	—
	- علم الكلام	—	—
	- علم أصول الفقه	—	—
	- علم الفقه	—	—
	- فروع هذه العلوم	٧ مطالب	(٧+١٠+٨٢+٦+١+٤+٥)
٧- علوم الباطن	- العبادات	١٠ أصول وبكل منها مطالب وفروع عديدة	
	- العادات	١٠ أصول وبكل منها مطالب وفروع عديدة	
	- المهلكات	١٠ أصول وبكل منها مطالب وفروع عديدة	
	- المنجيات	١٠ أصول وبكل منها مطالب وفروع عديدة	

هيكل تصنيف ديوى المعدل العربى

٩٩،٩٩٩ - المعارف العامة
- المعارف الإنسانية العامة
- البيولوجرافيات والفهارس
- - علوم المكتبات والمعلومات
- الموسوعات ودوائر المعارف العامة
- ٤٠ خالية
- الدوريات العامة وكشافاتها
- المنظمات والهيئات والمؤسسات العامة وعلم المناصف
- الصحافة والنشر
- المجاميع الفكرية العامة
- المخطوطات والكتب النادرة

١٩٩،٩٩-١ العلوم الفلسفية
- التقسيمات الموحدة
- الميتافيزيقا (الفلسفة التأملية)
- المعرفة العلمية – الغرض – النفس
- علم النفس الشعبى (الكاذب) – ما وراء علم النفس
- المذاهب والآراء الفلسفية
- علم النفس
- المنطق
- علم الاخلاق
- الفلسفة القديمة
- الفلسفة الحديثة

٢٩٩،٩٩-٢ الديانات
التقسيمات الموحدة
- العموميات لم الدين الإسلامى
- علوم القرآن
- علوم الحديث
- العقائد والفرق
- الفقه وأصوله
- التصوف
- المباحث العامة فى الديانة المسيحية
- الكنائس والفرق المسيحية
- الديانات الأخرى والدين المقارن

العلوم الاجتماعية
التقسيمات الموحدة وعلم الاجتماع
- الإحصاء
- العلوم السياسية
- العلوم الاقتصادية
- القانون
- الإدارة العامة والسلطة التنفيذية- العلوم العسكرية
- الانعاش الإجتماعى – الوزارات الإجتماعية والهيئات الإجتماعية
- التربية والتعليم
- التجارة – المواصلات- النقل
- العادات والتقاليد – الفولكلور

- اللغات
  - التقسيمات الموحدة
  - اللغة العربية
  - اللغة الإنجليزية
  - اللغة الألمانية
  - اللغة الفرنسية
  - اللغة الإيطالية
  - اللغة الأسبانية والبرتغالية
  - اللغة اللاتينية
  - اللغة اليونانية القديمة
  - اللغات الأخرى
- العلوم البحتة
  - التقسيمات الموحدة
  - الرياضيات
  - الفلك وعلومه
  - الفيزياء
  - الكيمياء
  - علوم الأرض والعوالم الأخرى
  - علم الحفريات
  - علوم الحياة
  - العلوم النباتية
  - العلوم الحيوانية
- العلوم التطبيقية
  - التقسيمات الموحدة
  - العلم الطبية
  - الهندسة
  - العلوم الزراعية
  - الفنون والعلوم المنزلية
  - إدارة الأعمال
  - الكيمياء التكنولوجية
  - الصناعات
  - مصنوعات متفرقة
  - المبانى
- الفنون
  - التقسيمات الموحدة
  - المناظر الطبيعية فى المدن
  - العمارة
  - التحف والخزف والخزف
  - الرسم والزخرفة
  - التصوير والتلوين الزيتى
  - الطباعة
  - التصوير الفوتوغرافى
  - الموسيقى
  - الترفيه العام
- الآداب
  - التقسيمات الموحدة
  - الأدب العربى
  - الأدب الإنجليزى
  - الأدب الألمانى
  - الأدب الفرنسى
  - الأدب الإيطالى
  - الأدب الأسبانى
  - الأدب اللاتينى
  - الأدب الهلينى- اليونانى القديم
  - أدب اللغات الأخرى
- الجغرافية والتاريخ والتراجم
  - التقسيمات الموحدة
  - الجغرافيا
  - التراجم
  - التاريخ القديم
  - تاريخ أوربا
  - تاريخ أسيا
  - تاريخ أفريقيا
  - تاريخ أمريكا اللاتينية
  - تاريخ أمريكا الشمالية
  - تاريخ أمريكا اللاتينية
  - التاريخ العام لمناطق أخرى من العالم

وقد قدمنا تصنيف الخوارزمي لبساطة بنائه مع معاصرته لابن النديم ، وواضح أنه يمثل صورة بسيطة من التقسيم حيث إنه لم يزد على أن أضاف إلى التصنيف الشائع لدى الفلاسفة مجموعة جديدة هي مجموعة علوم الدين واللغة حيث إن الأخرى تضم العلوم الفكرية والآلية والعملية وسماها بعلوم العجم ، وإنما هي علوم الأمم كلها ، ولكنه أراد أن يفرق بين المجموعتين فذهب ذهنه إلى ذلك ، وليست الأولى كلها بعلوم الإسلام ، فكان عند العرب قبل الإسلام علوم من هذا وتلك كالشعر من الأولى ، والنجوم من الثانية(٥١)

أما تصنيف ابن النديم فهو تصنيف متطور جداً على الرغم من أنه مُعاصر للخوارزمى ، وربما سبقه ، فقد ألفه سنة ٣٧٧(٥٢) والخوارزمي توفى سنة سنة ٣٨٧ هـ ، وهناك من يرجح أنه ألفه بين سنتى ٣٦٥، ٣٨١ هـ(٥٣)

ويتضح من هيكل تصنيف ابن النديم أنه قد قسم العلوم إلى عشرة طوائف جعل لكلٍّ منها مقالة ، وكل مقالة تضم تحتها عدداً من الفنون يتناسب مع ما تنقسم إليه المقالة فعلاً دون التزام بعدد محدد لأن التفريع أمر يمليه واقع العلم لا الرغبة في التزام نظام ثابت في التشجير والتفريع .

ومن البين أن تصنيف ابن النديم قد التزام باستقراء مكتبة الحضارة الإسلامية ، والنشاط العلمي فى البيئة العربية الإسلامية وحواضرها ، فجاء معبراً عنها ممثلاً لطبيعتها ، مراعياً لأولوياتها من حيث الترتيب ، منطقياً ، ومن حيث الأهمية التي أملت عليه تقديم ما يتعلق بالدين واللغة على ما عداه ، ولهذا جاءت مقالة اللغات

والأديان أولاً ثم مقالة النحو العربي بمدارسه الثلاث ثانياً ، ومقالة المؤرخين والنسابين والكتاب ثالثاً ، والشعر والشعراء رابعاً ، لتقدم كل هؤلاء من حيث العموم وأولوية العناية والتقدم الزماني على ما عداهم ثم جاء المتكلمون والفقهاء في المقالتين الخامسة والسادسة ، وبهما يكون قد استوفى العلوم ذات القدم الراسخة والمقدمة لدى العرب ولا يشركهم فيها أحد من الأمم ، ثم التفت إلى العلوم الأخرى التي توجد عند العرب وغيرهم فذكر الفلاسفة الطبيعيين ، ثم السمار والسحرة والمشعبذين والمخرفين ، ثم مذاهب الأمم الشرقية وأديانهم ثم الكيميائيين والصنعويين من الفلاسفة القدامى والمحدثين .

ومن الملاحظ أن ابن النديم جرى في شأن علوم الحساب والرياضة والهندسة والطب والكيمياء والصناعات والفيزياء والفلك وسائر العلوم الطبيعية على ما جرى عليه الأقدمون من جعلها جميعاً فروعاً من الفلسفة الطبيعة ، حيث إن أكثر هذه العلوم لم يستقل عن الفلسفة إلا في عصر النهضة العلمية الأوروبية وإن كانت بوادر هذا الإستقلال قد ظهرت عند العرب فيما بعد القرن الرابع الهجري حيث وجد من بين علمائهم من تخصص في فرع بعينه كالطب أو الفلك أو الرياضيات ، وغيرها ولكنها كانت تعد ظواهر فردية لأن صفة الموسوعية كانت هي الغالبة على علماء الحضارة الإسلامية ولم يمنعهم ذلك من أن يؤلفوا في بعض هذا العلوم مؤلفات يستقل فيها علم برأسه في مؤلف خاص ، ولعل الذي شجع على ذلك هو أن علوم الإسلام والعربية قد ولدت مستقلة فعلاً ، مما جعل فكرة فصل العلوم الأخرى عن الفلسفة غير مستبعدة عند العلماء العرب ، وأحسب أن تلك البدايات هي التي شجعت تلاميذنا الأوروبيين

على فصل هذه العلوم عن الفلسفة ، لا بدافع من توسع العلم الذي يقضى باستقلاله فحسب ، وإنما لدوافع منطقية وعلمية جعلت من غير المستساغ بقاء العلم الذي يعتمد آلات ومناهج مستقلة ، وأصبح ذا قواعد ثابتة ، وينطلق من حقائق علمية باتت من قبيل المسلمات من قبيل الشائعة ، في ظل المناهج الفلسفية التى تتضارب فيها الآراء والمذاهب الفكرية ولا تعتمد التجريب والاستقراء العلمي إلا جزئياً ، ولا تثبت على حال .

ويلاحظ أيضاً على نهج ابن النديم أنه أخر العلوم التي يمكن أن تصنف في المعارف العامة والعلوم المرذولة ، والديانات الأرضية (الوثنية) إلى آخر تصنيفه لتكون في أدنى المراتب ، ثم جعل الكيمياء في ذيل القائمة ، لما كان يلصق بها من الشائعات في ذلك الزمن ، وكان ابن النديم من بعد النظر بحيث وقف موقفاً وسطاً بشأنها يتبرأ مما ينسب إليها من العيب حتى لا يؤخذ عليه ما يرويه بشأنها[٥٤] لما يلصق بها من الشبهات ومع ذلك ذكر عدداً من الثقات الذين عملوا بالكيمياء ، وأفادوا منها من قدامى اليونان ، ومن المسلمين أيضاً[٥٥].

أما تصنيف ابن خلدون فهو تصنيف يتسم بنوع من التعقيد لما فرض على نفسه من تعدد الاعتبارات فى التقسيم ، الأمر الذي جعل القسم الثاني يقسم باعتبار نسبته إلى العلم العقلي إلى أربعة أقسام ، وباعتبار نسبته إلى العلوم الحكمية الفلسفية إلى سبعة أقسام ، أربعة منها يضمها القسم الرابع من العلوم العقلية (المقادير) ، وكل قسم من هذه الأقسام السبعة تحته علوم (منعتنا صعوبة التقسيم من إدراجها) وإضطراب ابن خلدون جاء فيما نرى من صراع نفسى

وجد نفسه فيه في عصره ، بين إيمانه بالعلم ووجوب تعلمه والتقديم فيه والأخذ بأسبابه وبين ما شاع في عصره من اتهام لهذه العلوم بأنها صارفة عن الدين ، ولهذا نراه يخرج الكيمياء والسحر من التقسيم ، ولا يدرجها تحت فرع من فروعه ، ويهمل ذكر علوم لا يجوز تجاهلها كالفيزياء ، كما أنه لم يدرج التاريخ في التقسيم مع أنه ذكر أنه من جملة العلوم الفلسفية ولم يدرج الجغرافية كذلك وكثيراً غيرها من العلوم المعروفة للعرب من قديم ، ويلاحظ عليه أيضاً أنه قد وضع العلوم العقلية في منزلة بين قسمي العلوم النقلية ، وهو مالم نتمكن من تنفيذه في الهيكل المصاحب فترتيبه بدأ بالعلوم الشرعية ثم العلوم العقلية ثم العلوم اللغوية مع أنه جعل العلوم الشرعية واللغوية قسماً واحداً (العلوم النقلية)[٥٦] .

ويكتسب هذا التقسيم أهمية كبرى - بالرغم من هذه الملاحظ - تنبع من جمعه بين العلوم كلها في نسق واحد جمع العلوم التي نبغت في الحضارة الإِسلامية مع العلوم العقلية التى توجد عند العرب وغيرهم وجعلها في مجملها عشرة أبواب .

ولا يخفى أن ابن خلدون يعد من أشهر العلماء العرب لدى الأوربيين وأكثرهم تأثيراً في الحضارة الإِنسانية في العصر الحديث وكانت مقدمته هذه هي سبب شهرته ، ولعله كان واسطة دون أن يدري - في نقل هذا التصنيف وغيره من التصانيف عبر المتوسط والأطلنطى إلى الحضارة الحديثة والعالم الجديد .

أما التصنيف الرابع الذي بين أيدينا فهو لرجل متأخر من العصر العثمانى الذي يوسم بأنه عصر الضعف ظلماً ، وله نظائر كثيرة في

عصره توحى بما يناقض الفكرة الشائعة عن عصره ، ومنها كتاب كشف الظنون الذي لا يستغنى عنه دارس ، ولولا أن منهجه مختلف ما غادرناه في هذه الدراسة .

وقد قسم طاش كبرى زاده كتابه مفتاح السعادة إلى سبعة أقسام رئيسة سمى كلاً منها (دوحة) ، تحتوي كل منها على شعب بعدد رؤوس الموضوعات (العلوم) التي تنتسب إليها ومن ثم تنقسم كل شعبة إلى علوم ، كما في الدوحات الثلاث الأولى ، والدوحة الخامسة ، أو إلى أقسام تندرج تحتها العلوم وسمى هذه الأقسام مرة (عناقيد) ، في الدوحة الرابعة ، وأخرى (مطالب) في الدوحة السادسة وثالثة (أصولاً) ، فى الدوحة السابعة وهذه الأخيرة قسم كل أصول منها إلى مطالب ، وبعض المطالب تحت أقسام .

وهذه الأخيرة لا تدخل تحت التصنيف حقيقة فهى زائدة جعلها المؤلف تبياناً لما سماه (علوم الباطن) ، وهي أربع شعب في العبادات والعادات والمهلكات والمنجيات ولم يسر فيها على نهج التصنيف ، وتقديم المؤلفات والمؤلفين وإنما شرع فى شرح نظرية في هذه العلوم على نحو لا يتصل بما سار عليه في الجزئين الأول والثانى من كتابه ، الذين بسط فيهما منهجه الذي يتصل بموضوعنا .

وقد حشا المؤلف كتابه بكثير من الاستطرادات التي تتصل بموضوعه ، وما هي إلا تداعيات تأتيه لأدنى ملابسة أو حتى لتوهم الملابسة .

كما أنه لم يستقص في الكتب والتراجم ، وفيه تكرار ، فيما يمكن الاكتفاء فيه بالإِحالة ، ومنهجه في التشجير غير مستقر كما بينا .

أما في تقسيم العلوم فقد بالغ على العكس من ابن خلدون حتى جعل موضوعات العلوم وأبوابها علوماً ، الأمر الذي عابه عليه بعضهم واعتذر عنه فيه آخرون(٥٧) ويبدو أن بعضاً من هذه المؤلفات كان يقصد به نوع من استعراض الملكات والمواهب والمعارف ، أو أنهم كانوا يتبعون في تقسيماتهم آراء كالتى ذكرها في مقدمة كتابه ، من الأخبار الواردة حول عدد ما يحويه القرآن من العلوم ، التي أوصلها بعضهم إلى سبعة وسبعين ألف علم ويزيد ، على عدد كلم القرآن مضروباً في أربعة (على أساس أن لكل علم ظاهراً وباطناً ، وحداً ومطلعاً) !؟(٥٨) ونحن مع إقرارنا بأن القرآن لا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرَّدِّ ، نرى أن هذه الأمور إن لم يرد بها نص قطعي تضحي ضرباً من المبالغات التي تضر ولا تنفع لأنها تفتح أبواباً لسهام المغرضين وطعون المشككين .

ومثل هذه الملاحظ ليست مما ينال من قيمة هذا العمل العلمية من حيث هو تصنيف متطور للعلوم استطاع أن يقدمها في تناسق منطقي وترتيب علمي ، بحسب أولوياتها الحضارية والتاريخية من حيث هي تصنيف لعلوم الحضارة الإِسلامية من جهة ، والإِنسانية من جهة أخرى دون انفصال بين الجهتين ، بل في تكامل يوحي بأن الحضارة الإِسلامية في أكمل صورها ، هي الحضارة الإِسلامية .

والتصنيف يبدوا مسترشداً بابن النديم إلى حد ما في الدوحتين الأولى والثانية حيث قدم ما يتعلق باللغة وعلومها لكنه يخالفه بعد ذلك ، بإدخال الشعر تحت علوم اللغة وجعل الدوحة الثالثة للعلوم الآلية كالمنطق والجدل ثم جعل الدوحة الرابعة قسمين كبيرين أولهما للعلوم الإلهية ، وهي علم (ما وراء الطبيعة الميتافيزيقا) في عرف الفلاسفة والآخر للعلوم الطبيعية (الفيزيقية) كالطب والبيطرة والكيمياء والهندسة والرياضيات والموسيقى وهذه عند ابن نديم متأخرة عن هذا الموضع إلى ما بعد علوم الفلسفة والعلوم الشرعية ، وهذا دليل على أن الفارق الزمنى بين التصنيفين والفارق الحضاري كان له أثره على التصنيف ولمسته التي لا يخفى مغزاها وربما كان تأخير الدوحة السادسة الخاصة بالعلوم الشرعية لتكون ملاصقة متكاملة مع القسم الأكبر من التصنيف الذي استغرق أكبر أجزائه وهو الدوحة السابعة في علوم الباطن - الموصوفة آنفاً - ليكون ما بين هذه العلوم وتلك من الصلة واضحاً وداعياً للمجاورة ، ويرجع ذلك إلى أن الدوحات الخمس الأولى جاءت في الجزء الأول من الكتاب مجتمعة في ٣٩٢ صفحة والدوحة السادسة وحدها في الجزء الثاني ٥٥٨ صفحة ، والدوحة السابعة في الجزء الثالث وحدها ٥٦٢ صفحة مما يوحي ليس فقط بأن التأخير كان لمزيد العناية ، بل يوحي بأن الكتاب ألف أصلاً من أجل هاتين الدوحتين وأن ما سبق هو من قبيل المقدمات وهذا على العكس مما فعل ابن النديم ، الذي جعل التقدمة لما هو أهم كما بينا آنفاً

وليست هذه التصانيف هي كل ما بأيدينا فهناك كما أشرنا من قبل عشرات من التصانيف التي حرصت على جمع العلوم وسلكها

في نظام ، والترجمة لأعلامها وأهم ما ألف فيها ، أو الاكتفاء بالإشارة إليها وبين أيدينا كتاب حرره العلامة ابن الحفيد[٥٩] الملقب بشيخ الإسلام أحمد بن محمد الحفيد الشافعي الهروي ، في هذا الباب وسماه « الدر النضيد لمجموعة ابن الحفيد » وهو مقسم على طريقة مستوحاة من طريقة ابن عبد ربه في العقد الفريد حيث جعل العلوم كمجموعات من الدّرر فى عقود وسموط عديدة تتألف منها .

فمنها عقد في علوم القرآن وآخر في علوم الحديث وثالث في أصوله ورابع في علم التفسير ، وخامس في علم الكلام وسادس في الفقه وأصوله وسابع في اللغة وثامن في الصرف والاشتقاق وتاسع في النحو وعاشر في المعاني والبيان ، وحادي عشر في البديع والعروض وكل هذا في مطلب سماه علوم المتشرعة ، أتبعه بمطلب ثان في علوم المتفلسفة في المنطق وسائر العلوم الحكيمة ولم يسر فيه على النظام السابق وإنما تناوله في صورة مسائل من هذه العلوم باختصار في حوالى خمس وعشرين صفحة من الكتاب الذي يقارب الأربعمائة صفحة[٦٠] ويبدو أن إهمال العلوم الدنيوية كان ظاهرة منذ الدقيقة التي تعد ثروة المكتبة العربية فيها من المفاخر التي تزهو بها وتتيه ، وتمن على البشرية جمعاء ، ولا سيما إذا عرفنا أن تقاسيم العلوم السابقة عند الأمم الأخرى ، كانت من السذاجة بمكان ، وكأنها لم تدرك نظرية العلاقات بين العلوم إلا في عصر النهضة (لخمسة قرون خلت فقط) ، وكذلك لم تدرك النظم الأخرى للتصنيف والترتيب ، كأبجدة الكتب والأعلام ، وغير ذلك ، وهذا في ذات الوقت يبرز مدى ما وصلت إليه المكتبات العربية من الثراء والتنظيم والرقى ، في وقت كانت أوربة ترقد في

سبات عميق ، وبينها وبين كل مقومات الحضارة مئات السنين[٦١] ، كما أنه يدل أيضاً على ريادة العرب فى فن الفهرسة الذي شاع في عصرنا ويسمونه (الببلوجرافية)[٦٢]

إننا إذا استحضرنا هذا التراث الضخم ، ونحن نعرض لتصنيف ديوي العشري المتطور ، نلمح تواصلاً ظاهراً من التشابه في المنهج وفي طريقة التفريع ، حيث أخذ كل منها في التدرج من الأعم إلى الأخص ، حيث جعل الأعم أصلاً وما تحته فروعاً ، وقدم ما رآه عاماً أو متقدماً زماناً أو ما يترتب عليه غيره ، وجعل العلوم متتابعة في رؤوسها ، وفي فروعها على أساس من الصلات فيما بينها وما يترتب منها على الآخر ، وكل منها مطبوع بطابع عصره ، وبطابع الحضارة التي ولد فيها ، وعبر عنها ، وكل منها يتسم بشمول المعارف الإنسانية التي جاد بها العقل البشري إلى زمانه ، وكل منها أيضاً فيه أوجه النقص والقصور التي تستولي على أي عمل بشري .

فتصنيف ديوي يتفق مع التصانيف الإسلامية في الفصل بين مجموعات العلوم النظرية والعلوم العملية ، وجَعْل العلوم في أقسام مستقلة ، كما فصلت وإياه بين العقائد والفلسفة ، وبين اللغات والآداب ، ثم في جعل التدرج من العلم إلى الخاص ومن الأصول إلى الفروع تابعاً للمنطق حيق تدرج من الجنس إلى أنواعه ، والأنواع إلى فصولها .

ويلاحظ كذلك أن تصنيف ديوي أقرب ما يكون في بنائه من تصنيف ابن النديم ، فبالإضافة إلى ما سبق اتفقا في تقسيم رؤوس العلوم إلى عشرة أقسام ، ولم يجعلا منها للعلوم العملية إلا قسمين

فقط ، بل إنهما جعلا أحدهما للعلوم البحتة والآخر للعلوم التطبيقية ، وهذا ظاهر بجلاء عند ديوي ، وابن النديم فصل ولكن تحت مقالة واحدة(٦٣)

أما الفروق التي بين هذه التصانيف فلا تعدو أن تكون من مؤثرات اختلاف العصور ، والبيئات وطبيعة الحضارة السائدة في كل ، وقد أشرنا من قبل إلى ما بين مفتاح السعادة والفهرست من فروق مع التواصل الحضارى ، أو أن شئنا التدقيق « الاتحاد الحضاري » بينهما ، فليس يتوقع أن يكون ما بين « ديوى » وهذه التصانيف أقل اختلافاً ، وسوف يتبين فيما بعد أن ما أقدم عليه ديوي من التغيير في تصنيف ابن النديم بدافع من التطويع للحضارة المخالفة لحضارتنا ، لم يكن كله خيراً وإنما شابه بعض أوجه النقص وعدم التوفيق في التغيير وأن بعض ما أبقاه كان واجب التغيير .

ومما يحمد لتصنيف ديوي معاصرته واستيعابه لعلوم عصره ، وقدرته على التكيف والتطور دون مساس بالأساس المنطقي الذي بني عليه ؛ وأنه لم يهمل معارف الأمم الأخرى وعقائدها ولغاتها ، وإن كان أعطاها أرقاماً محدودة جدًا ، فهو في المقابل ترك الباب مفتوحاً للتعديلات بحسب البيئة التي تقع فيها المكتبة التي تصنف على أساسه ، وبهذا أمكن تعديله في تجارب عديدة في اللغة العربية ليوافق المكتبات العربية والإسلامية(٦٤) ، وكانت جداول فؤاد اسماعيل فهمى هى أفضل هذه التعديلات فيما نرى ، ولهذا اعتمدناه هنا ليبرز مزايا هذا النظام الذي أفاد البشرية أيما فائدة .

وربما بدا نظام ديوي مستقيماً بلا أدنى مشكلات ، ولكن التدقيق في النظام العشري ، يؤكد أن الحرص على جعل كل قسم من عشر مراتب تحته بهذه الطريقة الهندسية في التفريع ، قد أوقع صاحبه تحت طائلة الافتعال ، وليٍّ عنق الحقائق ، حيث إن العلوم لا تستجيب هكذا بسهولة للتقسيمات الهندسية الجامدة الموحدة المتساوية الأضلاع ، لأن لكل علم طبيعته وأقسامه وفروعه ، التي تختلف عن طبيعة غيره من العلوم وأقسامه وفروعه ، ولهذا تراه اضطر إلى ترك بعض الأقسام خالية (العشر الخامسة من المائة الأولى بين رقمى ٤٠، ٤٩) مثلاً ، وكذلك تحت العشر (٨٠٤ مثلاً) ، واضطر إلى ضغط بعض الأقسام (علم الاجتماع أخذ رقماً واحداً هو (٣٠١) مع أنَّ العلوم الاجتماعية مخصص لها مائة خانة (قسم كامل من الأقسام العشرة) (٣٠٠ - ٣٩٩) وفيه ترك ما بين ٣٠٢/٣٠٨ خالياً !! ، وحشر الأحوال والمواقف الإِجتماعية للأمم كلها في ٣٠٩.

ومما يعاب عليه في هذا وضعه الدين الإِسلامي واللغة العربية والأدب العربي والتاريخ الإِسلامي في تقسيمه الأصلي ، في أضيق الحدود ، وهو ماتم تعديل حسبما هو مبين بالهكيل السابق للتصنيف ، فهذه الأقسام الهائلة الحجم قياساً على غيرها من التراث الحاضرى ، وضعها ديوي تحت أرقام أكبرها لا يزيد عن واحد من الألف ، وسائرها دون ذلك ، فالإِسلام وعلومه كان تحت رقم ٢٩٧، واللغة العربية وعلومها والأدب العربي وعلومه وتاريخ الإِسلام بأسره ، كل منها حصل على (١٠) من الألف أي واحد من عشرة آلاف ، (٤٩٢و٧ - للغة العربية) ، و(٨٩٢و٧ - للأدب

العربي) ، ومابين (٩٥٣، ٩٥٣،٠٩٩ - للتارخ الإِسلامي) وهذا الأخير جزء من (٩٥٣) الرقم المخصص مكانياً وتاريخياً للجزيرة العربية[٦٥] وكان من الممكن ألا يعاب عليه ذلك لو كان تصنيفاً إقليمياً - أي لمكتبة معينة في أمة معينة ، ولكنه يعيبه حقاً إذا أراد لتصنيفه هذا أن يكون قياساً ومعيارياً وعالمياً ، وهو ما حدث فعلاً ، لأن تراث الحضارة الإِسلامية ، ولغتها العربية ليسا بالشيء الهين في تراث الإِنسانية ، ولا يصح أن يكون مكانه في التصنيف بهذا الهوان ، وسيضطر من يطبقه إلى طرحه أو تغييره ، لأن قسماً من ألف أو عشرة آلاف قسم سوف يحمل بعدد ضخم جداً من العناوين ، ويترك كثير من الأقسام خالياً ، فينعدم التوازن ، ويعدم التصنيف وظيفته المكتبية .

ومن أسف أن كل محاولات علاج تصنيف ديوي لم تلتفت إلى التاريخ الإِسلامي التي كانت أفضل محاولات تعديله بجعل رقم ٩٥٣ لجميع مراحل التاريخ الإِسلامي من صدر الإِسلام إلى العصر الحديث مع تاريخ دول الجزيرة العربية المعاصرة من تاريخ الجاهلية فينوء بحمل آلاف من العناوين من الكتب الضخمة فكيف تترك أرقام خالية وتتخم أرقام بعينها بأحمال من الكتب تضيق بها مبان ضخمة وهذا قد يثير مشاعر بين السخط والسخرية لدى رواد المكتبات !

أما التصانيف الإِسلامية فإنها لم تلتزم بحدود جامدة بأرقام متساوية بأقسام العلوم ، وتركت لكل علم من العلوم مجاله في أقسام بحسب طبيعته ، وهذا ما يبينه بوضوح اختلاف عدد الفروع بين كل علم وآخر فى كل من تصنيف ابن النديم وطاش كبرى

زاده في هيكلهما السابقين . وكذلك ابن خلدون وغيرهم ، وبهذا وافق التصنيف الواقع العلمى والمنطقي وجاء كل علم مقدراً بقدره ومفسوحا على اتساعه لكل ما يمكن أن يندرج تحته دون حدود . ولعل عدم الالتزم بأرقام قد ساعد على ذلك ، ومع هذا نعتقد أنها لو زودت بأرقام أسوة بتصنيف ديوي فلن يختلف الأمر ، وسيكون في مكنتها استيعاب أي قدر من العناوين تحت فروعها دون صعوبات أو تعقيدات .

ومن أخطر عيوب ديوي التي باتت تمثل أكبر تهديد له في المستقبل أنه اقتصر على قسمين فقط من الأقسام العشرة العليا للعلوم ، أحدهما للعلوم البحتة ، والثاني للعلوم التطبيقية (التكنولوجيا) ، وقد أشرنا من قبل إلى أنه جاري التصانيف العربية في هذا ، وإن التصانيف العربية كانت تعبر عن حضارة عصرها فيقبل هذا منها ، أما في عصر حضارة العلوم (التكنولوجيا) فلا يقبل أن تكون العلوم النظرية من عقلية ولسانية وعقدية واجتماعية والفنون مستحوذة على ثمانية أقسام وهي قليلة التوسع بمعدلات تفوق الخيال والتوقعات وليس لها فى تصنيفه إلا قسمان اثنان ، وكأن حضارة القرن الخامس عشر الهجري هي حضارة القرن الرابع (عصر ابن النديم) لم تزد شيئاً[٦٦].

كل هذه الحقائق أدركها بعض علماء المكتبات العرب كما أدركها علماء الغرب ، الذين أدركوا عيوب ديوي التي لا يجدى علاجها بالتعديلات الجزئية المتعاقبة ، التي قد تضر أكثر مما تنفع ، كما وضعوا أيديهم على مزايا التصانيف العربية وشرعوا في إخراج خطة عربية للتصنيف ، وطرح ديوي وتعديلاته ، وقطعوا أشواطاً

لا بأس بها في هذا السبيل ، راجين أن يتمكنوا من إقناع المكتبيين العرب بإحلالها محل ديوي ، وأي تصانيف أخرى ، ومضى على ذلك زمن ليس بالقليل مما يثير قلقنا ، ونأمل ألا تتعثر جهودهم بفعل عوامل خارجة عن إرادتهم .

لقد أصبح ديوي تصنيفاً قديماً وغير معاصر في مهده وخلفته نظم كثيرة ، كخطة بليس ، وكولون رانجاناتان ، ونظام مكتبة الكونجرس وتصنيف هاريس ، وتصنيف برسلز (العشري العالمي) وتصنيف كتر الذي لم يتم ، وتصنيف براون ، وأخفق بعضها في تجاوز أخطائه وأوجه القصور فيه ، وتجاوز بعضها أخطاءه ونظامه بمراحل ، ولكنه لم يكتب له الانتشار[٦٧] ، حيث إن شهرة ديوي وأسره وجاذبيته وبريقه مازالت تغطي على كان تصنيف سواه وتعمي الأبصار عنه وسيبقى ديوي كذلك أمداً ليس بالقصير .

– إن عدداً كبيراً من المكتبات في العالم كله مازال يعمل بهذا التصنيف ولن يسهل تغييره بين يوم وليلة .

– إن ديوي هو الذي فتح الباب لكل النظم التالية التي كان رائداً لها ، وكلها يستلهم روحه وينظر إليه ، وله فضل عليها جميعاً فيما نهضت به من جهود في سبيل تطوير العمليات المكتبية .

– بهذا يكتسب تصنيف ديوي قيمة تاريخية تتعاظم على مر الزمان في سجل تطور علم التصنيف ، سواء التصنيف المكتبي أو تصنيف العلوم ، وهو بهذا يمثل حلقة في خارطة تصنيف العلوم ، التي يجب أن تحتل التصانيف الإسلامية بهذه الذخائر التى وصفناها ، وبمؤثراتها مكاناً بارزاً فيها ، ليقر لها المجتمع العلمي بما

كان لها من دور رائد في تطور التصنيف العلمى والمكتبي ولا سيما تصنيف ديوي في التقسيم والتفريع ، والترتيب ، بالإِضافة إلى خلوها من الكثير من عيوبه كما وضح آنفاً .

– ومن أسف أن ما عرضنا له من نماذج لتراث التصنيف عند العرب والمسلمين ، لم يجد من علماء الغرب المتخصصين فى هذا الباب من يضعه في مكانه اللائق به من سجل تاريخ التصنيف والمكتبات بل لقي على العكس من ذلك كل التجاهل والإِهمال كما هي عادتهم ، فخلت مؤلفاتهم من أي إشارة إلى هذا التراث ومدى تطوره عند العرب(٦٨) وذلك على الرغم من إفادتهم من مناهجه المتطورة كما هو واضح من التشابه الكبير بين أسلوب ديوي وأساليب العرب وعليه يصبح تاريخ هذا العلم في حاجة إلى إعادة كتابته من جديد ، ليس لما في هذا من إنصاف لأصحاب الفضل في ريادته وتطويره فقط وإنما لتهتدى البشرية إلى مصادر لتطوير هذا العلم وأساليبه في المستقبل ، ولا يكفي فيها تلك السلاسل المتقطعة التي تصبح مجهولة المصدر والأساس بتعمد إخفاء مصادرها التي استقيت منها ، لا لذنب جنته إلا أن أصحابها مسلمون ؟!

لقد ثبت بدون شك أن أصاحب فكرة تقسيم المعارف الإِنسانية إلى عشرة أقسام رئيسة تستوعب تحتها كل العلوم ، هو علماء المسلمين ، وعلى رأسها ابن النديم ، قبل ديوي وهاريس وبيكون ، فضلاً عن أرسطو الذي له الريادة ، غير أن تقسيمه كان بدائياً جداً .

وهذا الأمر يعلمه المستشرقون الذين لا يخفون إعجابهم الشديد بابن النديم ، وامتنانهم له ، لأنه هو الذي عرفهم بتاريخ حركتي التأليف عند العرب ، والترجمة من اللغات القديمة إلى لغتهم التي عادت بأكبر الفائدة على الحضارة الأوروبية الحديثة .

فلماذا لم يعترف أحد منهم بذلك ؟ ولماذا لم ينقلوه إلى علماء التصنيف والمكتبات عندهم ؟ أهي الغفلة أم شيء آخر !؟

- إن أكثر ما عيب على ديوي ، وأخذ عليه من نقص وقصور جاء مما خالف فيه النظم العربية الإِسلامية ، أو مما أضافه من عنده ، وهو ما أشرنا إليه من التقسيم الهندسي التعسفي وقلة عدد الخانات والتوسع في بعض الأقسام على حساب غيرها لقصور نظر أو لضحالة أو لتعصب مقيت لحساب الثقافة الأنجلوسكسونية ، ومذاهبها وفلسفاتها ، ودينها ولغاتها[٦٩] وللترتيب غير المنطقي ولذلك فإننا نؤكد على أن العودة إلى هذه التصانيف لدراستها والتعمق فيها والانطلاق منها نحو أي محاولة جديدة لتصنيف العلوم والكتب والمطبوعات ومصادر الفكر الإِنساني ، قد تكون ذات فائدة جليلة ، إن لم تكن بالفكر والتراث الإِنسانى بأسره ، فللأمة التي أبدعت عقول علمائها هذه التصانيف ، وهو أوجب ما يمليه علينا الوفاء لماضى هذه الأمة ، والحرص على مستقبل زاهر لها نتشوف إليه ونأمل أن تشرق عليها أنواره .

- إن أي نشاط للتصنيف بات عرضه للتغيير والتطوير لكي يقدر على الاستجابة المرنة للتطوير المذهل في العلوم ، وقد أثبت ديوي قدرته على استيعاب الجديد من العناوين في دنيا الكتب ، ولكنه

بات مغلقاً بالنسبة للجديد من العلوم ، والأزمان والأماكن ، وكذلك النظم الأخرى التالية ، ولاشك أن علاقة الأرض بالعوالم الأخرى - مثلاً - ستحدث إنقلاباً في نظم التصنيف المغلقة مكانياً ، وكذلك الأزمنة التالية المستقبلة ، فضلاً عن العلوم التي ستحدث كل يوم كالهندسة الوراثية ، والهندسة الطبية ، وعلوم الآلات المفكرة (الحواسب) ، والطبيعة الذرية وغيرها . فما يعد عَيْباً عند ديوي هو عيب أيضاً عند غيره من النظم ، ولاشك أن تدخل نظم البرمجة الآلية ، والتصوير الدقيق (الميكروفيلم) وغيرها جاء في وقته ليحل كثيراً من المشكلات المتوقعة . ولكن ذلك لا يغنى عن الاسترشاد بنظم التصنيف الإسلامية المرنة والمفتوحة القادرة على استيعاب كل جديد ، سواء أكان هذا في استحداث خطة تصنيف للمكتبات العربية الإسلامية ، أو في خطة قياسية عالمية تستوعب علوم البشر أجمعين .

كاظم الظواهري

السبت ٢٩/ ١٠/ ١٤١٧هـ

هوامش البحث

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية - متهالك وناقص تحت رقم ١٨٦٤ أدب .

(٢) الفهرست : ٢٢٣، هدية العارفين : ٥/ ٥١، وله آخر بعنوان « أقسم علوم الفلسفة » .

(٣) مخطوط بدار الكتب المصرية « ثان : ٦/ ١٨٢» ، أنظر تاريخ الأدب العربي - بركلمان : ٣٣٥/٤ وفى : الخطة العربية للتصنيف : ٢٧. أنه لابن فرجون الأندلسي « ؟ » ولم يذكر مصدراً .

(٤) في الفهرست : ٤٢٣ « مراتب العلو » ، كشف الظنون : ١/ ١٢.

(٥) الخطة العربية للتصنيف : ٤٧.

(٦) مفاتيح العلوم - مطبعة الشرق - سنة ١٣٤٢ هـ .

(٧) الفهرست - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٦هـ .

(٨) لم أره وأخبرني به الزميل د . أحمد فهمي محمد عيسى ، الذي كانت رسالته للدكتوراه في أدب أبي حيان .

(٩) مفتاح السعادة : ١/ ٣٠٠.

(١٠) ذكره الزركلي في ترجمته (٥: ٣١٦) باسم « طبقات العلماء في كل فن » .

(١١) كلاهما : الخطة العربية للتصنيف : ٤٧.

(١٢) فرسة ابن خير الأشبيلي - ؟

(١٣) كشف الظنون : ١/ ١٢، وله أخر باسم « نموذج العلوم » مخطوط - الزركلي ٦/ ١٣.

(١٤) نفسه ذكر الزركلي : ١٨٧/٧ أنه غير ذلك ، بل توزع الاسم المذكور بين كتابين : تاج العلوم ، وغرة التاج .

(١٥) نهاية الارب في فنون الأدب - النويري - دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٢هـ .

(١٦) مفتاح السعادة : ١/ ١٦٢، ١٧٠، الأعلام : ٤: ١٩٧.

(١٧) الخطة العربية للتصنيف : ٤٧.

(١٨) مقدمة تاريخ ابن خلدون - دار القلم - بيروت : ٤٢٩.

(١٩) طبع مصطفى الحلبي - مصر - ١٣٩٨هـ .

(٢٠) طبع مصطفى الحلبي - مصر - ١٣٥٧هـ ١٩٣٨هـ .

(٢١) بصائر ذوي التمييز الفيروز ابادي - المكتبة العلمية - بيروت : ١/٣٥ - ٤٠، ٥٤.

(٢٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا - وزارة الثقافة - مصر - ١٩٦١م .

(٢٣) مفتاح السعادة : ٢/١١٠ منسوب لكليهما في ترجمتها في : الزركلي : ٦/ ١١٠، ٤٦/٧ وزاد للأدب في العلوم العقلية بعنوان « عويصات الأفكار »

(٢٤) الخطة العربية للتصنيف : ٤٨.

(٢٥) كشف الظنون : ٢/ ٨٤.

(٢٦) نفسه : ١/ ١٢، هدية العارفين : ٥/ ٤٣١، الخطة العربية : ٤٨.

(٢٧) كشف الظنون : ٢٤٢/١ ذكر أنه بلغ فيها نحو مائة علم شرعية وعربية .

(٢٨) اتمام الدراية لقراء النقاية ، النقاية في أربعة عشر علماً للسيوطي - بهامش مفتاح العلوم للسكاكي - ط التقدم - ١٣٤٨هـ .

(٢٩) الخطة العربية للتصنيف : ٤٨ الزركلي : ٦/ ٣٢.

(٣٠) أبجد العلوم : ١/ المقدمة ص : ب محققه : عبد الجبار زكار - وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٧٨م ، فى : الزركلي : ٣/ ٢٤٧: عاشق بين قاسم الإزنيغى . ت : ٩٤٥، وفيه : ٧/ ٥٠: محمد بن محمد الإزنيفى . ت ٨٨٥. ولم يذكر الكتاب المذكور فى ترجمة أى منهما .

(٣١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة - أحمد بن مصطفى المعروف بلقب طاش كبرى زاده - دار الكتب العملية - بيروت - ١٤٠٥ - ١٩٨٥م .

(٣٢) كشف الظنون : ١/ ٤.

(٣٣) كشف الظنون : ١٣/١ وفي الزركلي : ٤١/٦ أنه في ٥٣ علماً .

(٣٤) كشف الظنون : ٢/ ٢٧٥.

(٣٥) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - مصطفى عبد الله القسطنطينى أو حاجي خليفة ، أو ملا كاتب حلبي - دار الفكر - بيروت - ١٤١٤ ه - ١٩٩٤م .

(٣٦) طبع المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٣٨٣هـ : لمحمد علي الفاروقي التهانوى .

(٣٧) كشف الظنون : ١/ ٤.

(٣٨) كشف الظنون : ٤١/ .

(٣٩) أبجد العلوم صديق بن حسن القنوجي - ت عبد الجبار زكار - وزارة الثقافة - دمشق ١٩٧٨م .

(٤٠) كل طبعات كشف الظنون في أوروبة وتركيا والهند ومصر ضمت هذين الكتابين مع الكتاب ، مع المحافظة على طابع كل منهما وحدوده إلا طبعة دار الفكر بلبنان التي ألغت هذه الفواصل بطريقة أساءت إلى المجموعة ، على من لا يعرف أن المجموعة لأكثر من مؤلف واحد .

(٤١) بعض ما ذكرنا كان بمعونة : كشف الظنون وتصديره لمحمد شرف الدين وأبجد العلوم ومقدمته بقلم عبدالجبار زكار والخطة العربية للتصنيف لعبد الوهاب عبد السلام بالإضافة إلى المصادر المذكورة .

(٤٢) بصائر ذوي التمييز : ١/٣٤ - ٤٠.

(٤٣) أنظر ترجمته في الموسوعة العربية الميسرة .

(٤٤) الخطة العربية للتصنيف : ٢١٥.

(٤٥) راجع تفصيلات هذه القضية في دراستنا : مقدمة لدراسة قواعد المنهج العربي في الأدب العلم وفي مصادها .

(٤٦) دراسة في مصادر الأدب ع الطاهر أحمد مكي : ٢٩٥ - ٣١٧ دراسة وافية محققة لابن النديم وكتابه .

(٤٧) المكتبات في الإسلام : ١٦٣، وانظر الفهرست : ١٣.

(٤٨) التكشيف لأغراض استرجاع المعلومات - محمد فتحى عبد الوهاب : ٢١.

(٤٩) مفاتيح العلوم - مطبعة الشرق - سنة ١٣٤٢.

(٥٠) فضل العرب على العجم ، لابن قتيبة .

(٥١) الفهرست صفحة ٧.

(٥٢) الخطة العربية للتصنيف : ٤٧.

(٥٣) الفهرست : ٥٤١.

(٥٤) نفسه : ٥٤٣ - ٥٤٤.

(٥٥) مقدمة ابن خلدون ٤٣٥ وما بعدها .

(٥٦) كشف الظنون : ١/٣٤ - ٣٥.

(٥٧) مفتاح السعادة : ١/٧٦ نقلة عن الغزالي في الأحياء ، والفيروز ابادي ذكر أقوالاً أخرى في البصائر : ١/ ٥٥٨.

(٥٨) لم أعثر على تاريخ وفاته .

(٥٩) الدر النضيد - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

(٦٠) لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات : ٢١٧.

(٦١) السابق : ٢٢١، ٢٢٢، مدخل لدراسة المراجع : ٧٨.

(٦٢) في المقالة السابعة ، باستثناء الكيميائيين والصنعويين ، في المقالة العاشرة .

(٦٣) الخطة العربية للتصنيف : ١١١.

(٦٤) التصنيف العشري الموجز - فؤاد إسماعيل فهمي المقدمة : ٥.

(٦٥) راجع : الخطة العربية للتصنيف : ١٠٠، ١٧٤ - ١٩٣.

(٦٦) لخطة العربية للتصنيف : ٢٢، ٢١٥.

(٦٧) لخطة العربية للتصنيف : ٥٧.

(٦٨)الخطة العربية للتصنيف : ٢٣، وما بعدها .

* * *

مصادر الدارسة وأهم مراجعها

١ - أبجد العلوم : صديق بن حسن القنوجي - ت : عبد الجبار زكار - وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٧٨م .

٢ - بصائر ذوي التمييز : الفيروز ابادي - المكتبة العلمية - بيروت - ؟

٣ - تاريخ الأدب العربي : كارل بروكلمان - دار المعرف .

٤ - التصنيف العشري الموجز : فؤاد اسماعيل فهمي - دار المريخ - الرياض - ط٢ ١٩٨٣م .

٥ - التكشيف لأغراض استرجاع المعلومات : محمد رفعت عبد الهادي - مكتبة العلم - جده - ١٩٨٢م .

٦ - الخطة العربية للتصنيف بين مؤتمرين : عبد الوهاب عبد السلام أبو النور - دار العلوم الرياض - ١٣٩٨ - ١٩٧٨م .

٧ - دراسة في مصادر الأدب : الطاهر أحمد مكي - دار المعارف - مصر - ط٦ - ١٩٨٦م .

٨ - الدر النضيد لمجموعة ابن الحفيد : أحمد محمد الحفيد الشافعي الهروي - سيف الدين ابن يحيى التفتازانى الهروي المعروف بابن الحفيد - دار الكتب العربي - بيروت - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

٩ - عصر سلاطين المماليك : محمود رزق سليم - المكتبة التجارية الكبرى مصر نشر بين سنتى ١٩٥١ - ١٩٦٦م .

١٠ - فضل العرب على العجم : ابن قتيبة - مخطوط بدار الكتب المصرية . رقم ١٨٦٤.

١١ - الفهرست - ابن النديم - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .

١٢ - كشف الظنون عن أسامي الكتب - حاجي خليفة ، ومعه : ايضاح المكنون وهدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي - دار الفكر - لبنان - ؟

١٣ - لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات : عبد اللطيف الصوفي - دار طلاس - دمشق - ١٩٨٧م .

١٤ - مدخل لدراسة المراجع : عبد الستار الحلوجي - دار الثقافة - مصر - ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م .

١٥ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة : طاش كبرى زاده - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م .
١٦ - مفاتيح العلوم : الخوارزمى - مطبعة الشرق ١٣٤٢ هـ .
١٧ - مقدمة ابن خلدون : دار القلم - بيروت - ط ٤ - ١٩٨١م .
١٨ - المكتبات في الإسلام : محمد ماهر حمادة - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠١هـ
١٩ - النقاية ، وإتمام الدراية لقراء النقاية - للسيوطي بحاشية مفتاح العلوم للسكاكي - مطبعة الثقافة العلمية - مصر ١٣٤٨.

* * *